الفصل الرابع

القراءة..وتنمية ذكاء الأطفال

" القراءة هي عملية تعويد الطفل: كيف يقرأ ؟ وماذا يقرأ ؟ لذلك لابدّ من العناية بغرس حُبّ القراءة أو عادة القراءة والميل لها في وجدان الطفل والتعرُّف علي ما يدور حوله منذ بداية معرفته للحروف والكلمات، ولذا فمسألة القراءة مسألة حيوية بالغة الأهمية لتنمية ثقافة الطفل، والارتفاع بمستوي ذكائه، فعندما نُحبِّب الطفل في القراءة فإنَّنا نشجعه في الوقت نفسه علي الإيجابيَّة ، وهي ناتجة للقراءة من البحث والتثقيف، فحُبّ القراءة يفعل مع الطفل أشياء كثيرة، فإنَّه يفتح الأبواب أمامه نحو الفضول وحُبّ الاستطلاع، وينمي لديه الرَّغبة لرؤية أماكن يتخيلها ، ويُقلِّل من الإحساس بالوحدة والملل، ويخلق أمامه نماذج يتمثل أدوارها،كما تُغيِّر القراءة أسلوب حياته.

والهدف من القراءة هي أن نجعل الأطفال مفكرين، باحثين، مبتكرين، يبحثون عن الحقائق بأنفسهم، ومن أجل منفعتهم، ممَّا يُساعدهم في المستقبل علي الدخول في العالم كمخترعين ومبدعين،لا كمحاكين أو مقلدين، فالقراءة هي مفتاح الرشد العقلي.

والقراءة مهمة لحياة أطفالنا فكُلِّ طفل يكتسب عادة القراءة يعني أنَّه سيُحب الأدب واللَّعب، وسيدعم قدراته الإبداعيَّة والابتكاريَّة وسيدعمها باستمرار، والطفل أكثر قدرة علي الاستفادة من القراءة، فالقراءة تُكسب الأطفال حُبّ اللُّغة، واللُّغة ليست وسيلة تخاطب فحسب، بل هي أسلوب للتفكير، ومن هنا تأتي

خطورة القراءة وأهميتها، فضلاً عن مساهمتها مع اللُّغة في حفظ التاريخ والتراث، كما أن دورها مهم في خلق الآداب والفنون التي تُشكِّل بدورها حياة النَّاس، فاللُّغة كائن حي يولد وينموّ ويكبر ويتطوَّر ويصيبه ما يُصيب الكائن الحي من علل وأمراض.

♦ما هو الغرض أو الهدف من القراءة ؟

إنَّ القراءة ضرورة حقَّقها الإنسان الذي ميزه الله عن سائر المخلوقات بنعمة العقل ليتيسر له تبادُل الأفكار مع أفراد مجتمعه وسائر النَّاس، ويعتبر « الجاحظ» (أبو عثمان عمرو بن بحر) (٧٧٦-٨٦٨) من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، إنَّ القراءة هي : «الأداة الأقدم والأفضل بين كُلّ ما أنتجته عبقرية الإنسان من وسائل التلقين ». وعلى هذا فإنَّ القراءة خير ما يُتيح للعقل من أن يُقارن ويوازن، ثُمَّ يستنبط ويستدل ويستخلص.

و القراءة لا يمكن أن تصبح عادة بالضغط والإكراه، ولا ينبغي أن نربطها بأي شكل من أشكال العقوبات إن لم تمارس، فإنَّ إتباع هذا الأسلوب قد يُولِّد إحساساً لدى الطفل بالعداء نحوها..وهذا ينافي القول بأنَّ القراءة هي استجابة طبيعيَّة لإشباع حاجات نفسيَّة تدفع الأطفال إلى القراءة، فما علينا إلاَّ أن نضع بين أيديهم كتباً أو مجلات شائقة الموضوع، حتى تصبح القراءة لديهم عادة ممتعة ومُحبَّبة منذ الصِّغر.

لنرى ما كتبه الأديب الكبير« عباس محمود العقاد »(١٩٦٤-١٨٨٩) عن سبب حُبّه للقراءة: «لستُ أهوى القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عُمْراً في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأنَّ عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني ولا تُحرِّك كُلّ ما فيَّ من بواعث الحياة، والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة في مدى عُمْر الإنسان الواحد، لأنَّها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب. فكرتك أنت فكرة واحدة، وشعورك أنت شعور واحد، خيالك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك، ولكنَّك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، أو لاقيت بشعورك شعوراً آخر، ولاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أنَّ الفكرة تصبح فكرتين، أو أنَّ الشعور يصبح شعورين، أو أنَّ الخيال يصبح خيالين، كلا، وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر من القوَّة والعمق والامتداد».

إنّ هذا الأمر يصدق إلى حدٍّ كبير مع أطفالنا، فللقراءة دوراً في حياتهم لا يقلّ عن الدور الذي تلعبه في حياة الكبار.

♦فوائد القراءة و أهدافها:

أولاً: القراءة تخلق علاقة قويَّة بين جميع أفراد الأسرة:

خلال نموّ الطفل، فإنَّه يمضي وقته باللَّعب واللهو واكتشاف البيئة التي تُحيط به، وهذا ما يجعل فترة القراءة التي تجمعه

بوالديه فترةً مميزة تتسم بالحميمية والهدوء والصفاء، فيتمتَّع بوقتٍ عائلي رائع،فيصبح الأمر مع مضي الأيام عادةً أو تقليداً يستأثره ويتوق إليه.

ثانيًا: التمكُّن من اللغة:

في القراءة المبكرة للأطفال، تتشكَّل لديهم أساسيات اللُّغة التي تخلق تحضيراً غير مباشر لهم قبيل توجههم إلى مرحلة الدراسة. فلدى اقترابهم من سن الذهاب إلى المدرسة، يصبحون مُتقدمين تلقائيًّا باكتساب اللُّغة، الأمر الذي يُقلص أو يُقلِّل من احتمال مواجهتهم مشكلاتٍ في الكتابة، وفي فهم الأحرف والكلمات.

ثالثًا: التفوق الأكاديمي:

يكتسب الأطفال الذين ينشئون في بيئةٍ قارئةٍ استعداداً عالياً للتعلُّم بشكلٍ عام، وتعويدهم علي القراءة يجعلهم يمتلكون تلقائيًّا قدرة أكبر على النجاح في مختلف جوانب التعليم المدرسي.

رابعًا: اكتساب مهارات التواصل الاجتماعي السليم:

عندما يقضي الآباء أو الأمهات وقتاً في القراءة مع أطفالهم، فإنَّهم سوف يمتلكون ـ بلا شك ـ القدرة على التعبير عن أنفسهم، والتواصل مع الآخرين بطريقةٍ صحية. إذ من خلال ملاحظتهم للتفاعُّلات بين الشخصيات في القصَّة، فضلاً عن التحدُّث إلى

والديهم خلال القراءة لمناقشة أحداث القصَّة وطرح الأسئلة حولها، يكتسبون مهارة التواصل الاجتماعي السليم.

خامسًا: اكتساب مهارة التفكير المنطقي:

من خلال القراءة يكتسب الطفل استيعاب بعض المفاهيم المُجرَّدة، وتطبيق منطقها في سيناريوهاتٍ مختلفة. فعندما يبرز الشخص السيئ في قصَّةٍ ما يرفض الطفل من تلقاء نفسه تصرُّفاته ويبتعد عن الامتثال أو الاقتداء به، وذلك يتعلَّم التفكير المنطقي بأنَّ التصرُّفات السيئة وغير الأخلاقيَّة غير مقبولة.

وقد توصل الباحثون التربويون إلى تحديد مجموعةٍ من الفوائد التي يجنيها الطفل من القراءة، لعلّ من أهمها:

١. القراءة للطفل ترفع نسبة ذكائه وتساهم في رفع مستواه العلمي.

٢. القراءة تشبع حياة الطفل وتثري خياله.

٣. القراءة تُنمي قدرة الطفل على التخيُّل ، وتكسبه ملكة التفكير السليم.

٤. القراءة مصدر جيد للمعلومات المختلفة والخبرات المُتعدِّدة.

٥. تعمل القراءة على توسيع أفق الطفل ومداركه.

٦. تعمل القراءة على تطوير معارف الطفل ، وتهيئه لاستقبال معارف لاحقة.

٧. تولِّد لدى الطفل حُبّ الاستطلاع.

٨. تُحبِّب إليه الآداب ، والبحث عن الحقائق ، وتفتح أمامه أبواب الثقافة.

٩. القراءة تُكسب الطفل قدرة على الاتصال الجيد والتعبير كتابةً وحديثاً.

١٠. تُساعد الطفل على تغيير أسلوب حياته.

١١. القراءة المستمرة تُساعد الطفل مستقبلاً على البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات بشكلٍ جيد.

١٢. تنمية قدرة الطفل على القراءة بحيث تصبح أكثر عمقاً.

١٣. تنمية ثروة الطفل اللُّغوية ؛ حيث يبحث عن المعنى خلال السياق في الجملة فيترسخ المعنى في ذهنه ، ويتسع قاموسه اللُّغوي.

١٤. اكتساب الطفل لمجموعةٍ من القيم والأخلاقيات الملائمة لثقافة مجتمعه، ممَّا يترتب عليه تهذيب سلوكياته.

١٥. تخلص القراءة الطفل ممَّا قد يعتريه من سآمة، وتجلب له المتعة والتسلية.

١٦. قراءة الأُمّ للطفل تخلق حالة من الحميمية في العلاقة بينهما، لأنَّ صوت الأُمّ الدافئ وهي تسرد القصَّة لطفلها له مفعول هادئ ومريح على نفسه قبل النَّوم.

♦متى نبدأ بتعليم الطفل القراءة ؟

هناك نظريتان تطرقتا لبحث هذه القضية ، وتطوعتا للإجابة عن هذا التساؤل بمنهجيةٍ علميةٍ، لكنَّهما تبدوان وكأنَّهما متعارضتان.

- النظرية الأوَّلى ترى أنَّه من المفيد أن يؤخر تعليم الطفل القراءة إلى ما بعد سن السَّادسة ؛ ليجد متسعاً من الوقت يمارس فيها ألعاباً تتطلبها طفولته ، إضافة إلى أن محاولة تعليم الطفل القراءة في وقت مبكر قد يجعله يمل منها بسرعةٍ.
- وأمَّا النظرية الثانية فترى أنَّه من الأهمية بمكان تدريب الطفل على القراءة في وقت مبكر؛ لأنَّ هذا التبكير يهبه فرصة لتطوير قدراته القرائيَّة ، فيحصل على المعرفة بصورة مكثفة.

ورغم التباين الذي نلمسه بين النظرتين إلاَّ أنَّ التوفيق بينهما أمر في غاية السهولة. فيري البعض أنَّ التعارُض الذي قد نتخيله بين الرأيين فيما يطرحانه زائف، فما الذي يمنع أن تكون عملية تعلُّم القراءة بحدِّ ذاتها متعة وفائدة في آنٍ واحد ؟ إنَّ اللَّعب والاستمتاع أهم وسائل الطفل للمعرفة، إن لم تكن وسيلته الحقيقية الوحيدة، وكُلَّما كانت المعرفة مرتبطة باللَّعب والاستمتاع والإثارة، كُلَّما تمكَّنت من نفسه أكثر.

بعض معوقات تعليم القراءة للطفل:

تعليم الطفل القراءة يصطدم في كثيرٍ من الأحيان ببعض العراقيل أهمها:

- قلة الوعي بأهمية كتاب أو مجلة الطفل.
- ارتفاع أسعار كتب الأطفال لدرجة أنَّه لا يقوى على شرائها كثير من النَّاس الذين يدركون أهمية القراءة للأطفال.
- عدم وجود فئة متخصِّصة من المشرفين التربويين القادرين على تقييم الكتب الموجهة للأطفال للتمييز بين الكتب التربوية والكتب التجارية.

- وجود فئة من الناشرين الانتهازيين الذين يسعون إلى الربح المادي فقط ، ويهتمون بإخراج الكتاب وزخرفته ، ولا يأبهون بمضمونه ، ولا بالأضرار التي يمكن أن تترتب على الكتب السطحية.

- تركيز كثير من كتب الأطفال على الحكايات المسلية المتوارثة من التراث؛ لاعتقاد المؤلِّفين بأنَّ الطفل مخلوق ساذج غير قادر على إدراك القضايا الحياتية خارج نطاق عالمه، لذلك فهو محكوم بما تجود به عليه عقول الكبار.

- قلة الدراسات التي أُجريت حول الطفل في العالم العربي، وتوظيف بعض الكُتَّاب العرب للدراسات الأجنبيَّة أثناء محاولته الكتابة للأطفال دون التنبه للأضرار التي قد تنجم عن بعض هذه الدراسات.

- بقي أن نحذر من خطورة كتب الأطفال التي تستند على التعصُّب الديني، وعلى الخرافات المتوارثة من الثقافات الشعبيَّة؛ لما يترتب عليها من عواطف وانفعالات سلبية تجنح بعقل الصَّغير بعيداً عن التفكير العلمي والموضوعية. فينشأ ضعيفاً مضطرباً يعيش في مجتمعه غريباً، فالأديان كُلَّها تقوم على التسامح والمحبَّة والسلام، وتدعو النَّاس إلى التعاون، والإخاء، و نبذ الشر والعدوان.

فـإذا اسـتطاعت الأسـرة، ثُـمَّ المدرسـة مـن بعدهـا أن تمكِّـن الطفـل مـن أن يقطـف ثمـار القـراءة اليانعـة، سـواءً بممارسـتها عمليًّـا أو بالقـراءة لـه، فإنَّهـا تكون بذلـك قـد وضعتـه علـى عتبـة بـاب واسـع مـن أبـواب التميُّـز العلمـي الـذي يقـود إلـى الـذكاء والإبـداع والابتـكار.

♦دور الأسرة في تنمية ميول القراءة عند الأطفال:

قـام بعـض علمـاء النفـس بتجـارب علـى بعـض الأطفـال الذيـن يبلـغ عُمْرهـم أربـع سـنوات، وجـاءت النتائـج مذهلـة، ذلـك أنَّ الطفـل الـذي يبلـغ عُمْـره أربـع سـنوات، وقـد نشـأ في وسـط عائلـة مسـتقرة ماديًّـا، ومعتـادة علـي القـراءة، بحيـث يتوفـر في البيـت الكتـب والمجـلات، يسـتطيع أن يتعلَّـم أي شـيء بسـهولةٍ تامـةٍ، ودرجـة ذكائـه ــ عـادةً ــ تكـون أكبـر مـن درجـة الطفـل الـذي ينشـأ في بيئـة غيـر مسـتقرة ماديًّا،غيـر مهتمـة بالقـراءة.

أمَّـا عـن دور الأسـرة في تنميـة ميـول الأطفـال القرائيـة، وتشـجيعهم عليهـا، فـإنَّ هنالـك مجموعـة مـن التوصيـات التـي يمكـن مـن خلالهـا تحقيـق ذلـك، لعـلّ مـن أهمهـا:

أوَّلاً: بمـا أنَّ البيـت يأتـي في مقدمـة المؤسَّسـات الاجتماعيَّـة الأكثـر تأثيـراً في الطفـل وتكوينـاً لشـخصيته، لـذا يجـب أن يكـون كُلّ مَـنْ فيـه قـدوة صالحـة للطفـل، فمـن المؤكَّـد أنَّ الطفـل مُقلـد لوالديـه،

فهما النموذج والقدوة، وعلي هذا فإنَّ القراءة شأن أي سلوك آخر تلعب القدوة فيه دوراً كبيراً في تنميته، ولنتصوَّر طفلين أحدهما يرى والده يتصفح قبل أن ينام مجلةً أو يقرأ كتاباً، وثانيهما طفل لا يعرف الكتاب منزله ولا يطرق بابه، فالأوَّل سوف يشب قارئاً متميزاً، والثاني سوف يشب لا يعرف عن القراءة شيئاً، فيُحرم من تغذية عقله ووجدانه، لذلك فإنَّ الأسرة الناجحة هي التي تعتني بالقراءة والتثقيف.

ثانيًا: من واجبات الأسرة إعطاء الفرصة للطفل للاختيار الحُرّ في مجال اقتناء الكتب التي يريدها بما يتناسب مع رغباته وميوله وقدراته، دون أن نفرض عليه كتاباً بعينه، والسبب في ذلك هو ألاَّ نرهقه بقراءة كتاب يصعب عليه فهمه، دون رغبة فيه. فعلى الآباء والأمّهات أن يختاروا لأطفالهم من الكتب ما يتناسب وأعمارهم وثقافتهم وميولهم وقدراتهم حتى تكون الفائدة أكبر وأعظم. وبالتالي إذا أُغري الطفل بمطالعة الكتب التي تلاءم سنه وميوله ودُرِّب على القراءة في البيت، وعلى مقاعد الدراسة رافقته هذه العادة الرائعة كُلّ أيام حياته.

ثالثًا: ولتشجيع أطفالنا على القراءة ينبغي أن تُخصِّص الأسرة جزءاً من ميزانيتها لشراء الكتب والمجلات حتي تثري بها المكتبة المنزليَّة، كما أنَّ عليها من فترةٍ إلى أخرى أن تحرص على

سماع ما يقرأ أطفالهم والإنصات إليهم، ففي هذا تشجيع عظيم علي حُبّ القراءة.

كما ينبغي اصطحاب أولادنا إلى المكتبات العامَّة ومعارض الكتب، لأنَّ من شأنها أن تخلق رغبة قوية لدى الطفل في اقتناء الكتب أو المجلات، بل إنّ عملية ارتياد المكتبات العامَّة تصبح إحدى متعه اليومية حيث تنمى لديه الاستقلال في تحصيل المعرفة، فضلاً على خلق صلة طيبة بينه وبين أمناء المكتبات، لأنَّه غالباً ما يُلبي متطلبات ورغبات الطفل في اختياره للكتب أو المجلات.

♦ كيف نحبّب الطفل في القراءة ؟

١. أن يمارس الوالدان أنفسهما القراءة ، وأن يكون في البيت مكتبة تحتوي على كتب ومجلات للأطفال، ذات مضمون جيد، وإخراج جذاب مناسب.

٢. تشجيع الطفل على أن تكون له مكتبة خاصة به،بسيطة لكن منسقة.

٣. تدريب الطفل على القراءة بالتدريج ، ومراعاة ميله إلى الموضوعات التي يرغب في الاطلاع عليها.

٤. توفير مكان مناسب للقراءة يتسم بالهدوء، والمقاعد المريحة، والإنارة الكافية.

٥. تقديم الكتاب أو المجلة كهديةٍ للطفل في الأعياد، وفي المناسبات الاحتفالية، والمسابقات الثقافية.

٦. تنظيم مسابقات في القراءة والمطالعة بين الأطفال خلال العطلات المدرسيَّة.

٧. وضع القصَّص والمجلات قرب سرير الطفل ليتصفحها قبيل النوم.

٨. تنظيم جلسات لأفراد الأسرة يتمّ خلالها تدارس الكتب المفيدة ، ومناقشة محتواها في حضور الأطفال ، والسماح لهم بالمشاركة في الحوار الدائر.

٩. تشجيع الأطفال على تمثيل الأدوار التي تجري في القصَّة، وتعزيز مشاركتهم مهما كانت محدودة .

١٠. الحرص على اختيار الكتاب الملائم والمناسب لميول الأطفال، ولعلّ من أفضل الكتب التي يمكن تقديمهم لهم هي القصَّص المصوَّرة ذات الكلمات الواضحة ، والأناشيد ذات الموسيقى المُحبَّبة لهم، علي أن تكون ذات محتوى تربوي لا يتعارض مع بيئة الطفل، وأن تناسب عُمْره العقلي، وأن تشبع رغباته وتلبي حاجته للقراءة.

وحتى لا يمل الطفل القراءة، علينا بإتباع الآتي:

١. إعطاء الطفل فرصة كافية لتأمُّل الصور.

٢. اختيار بعض الكلمات وسؤال الطفل عن معناها.

٣. أن نطلب من الطفل إعادة ما فهمه من القصَّة ، وتعزيز إجابته مهما كانت مختصرة.

٤. عدم إجبار الطفل على ممارسة القراءة.

٥. القراءة للطفل بصوتٍ عالٍ، وهذه القراءة ذات قيمة تربوية عالية. فيقول أحد الشعراء الغربيين على لسان طفل يُدرك أهمية القراءة :« قد تكون لديك ثروة حقيقية مخفية. عُلب جواهر وصناديق من ذهب، لكنَّك لن تكون أغني مني، لأنَّ لي أمَّا تقرأ لي».

٦. أن يحرص القارئ للأطفال على أن تكون قراءته مُعبِّرة وممثلة للمعنى بحيث يكون وقت القراءة ممتعاً للطفل.